مجلة الشهاب ودورها في ازدهار الحركة الشعرية في الجزائر

الأستاذة فطيمة زودة
جامعة باتنة

الملخص:

إن الإشادة بقيمة الدور الذي قامت به مجلة "الشهاب" في بعث الوعي الديني والفكري على مستوياته المختلفة هو الهدف الأساسي الذي سعت هذه الدراسة إلى تحقيقه ، من خلال التعريف بهذه المجلة، وإبراز الظروف التاريخية الاستثنائية التي ظهرت فيها، وعرض الموضوعات المختلفة التي كانت تطرحها في صفحاتها، في وقت كان الاستعمار الفرنسي يشدّد فيه الخناق على الأميّ والعالِم سواءً بسواء خوفا من وعيه ويقظته، فكلّ واحد منهما كان يشكّل خطرا بالنسبة إليه.

وخلصنا إلى أن مجلة "الشهاب" سجلٌّ فكريّ وأدبيّ للفترة الممتدة بين سنوات 1925 و1939م، حيث فتحت للشعراء الجزائريين صفحاتها، واستقبلت إنتاجهم الشعري الذي كان حاضرا في كل المواقف الدينية والوطنية والاجتماعية والسياسية ليسهم في بث روح الوعي في الشعب سعيا نحو التغيير.

Résumé

On trouve dans la revue (AL – CHIHAB) la bonne poussée à la conscience religieuse de niveau la langue, populaire de niveau intellectuel et moral. C'est la conscience nationale qui est utilisée pour représenter les circonstances historiques.

Il est possible que la parution de la revue (AL – CHIHAB) à partir de 1925 jusqu'en 1939 c'est-à-dire entre les années trente, ou elle a pu lutter contre le colonialisme français, et a pu imposer son nom a travers les célébrités littéraires et poétiques qui apparaissent sur ses pages.

Le nom qu'elle porte (AL – CHIHAB) signifie l'étoile filante, et elle était vraiment une étoile d'espoir pour le mouvement poétique écrit en arabe, et pour les journalistes et les poétes algériens qui menaient une dure bataille contre le colonialisme/

أولا: مجلة الشهاب النشأة والتطور

إن الحديث عن مجلة "الشهاب" لمؤسسها "عبد الحميد بن باديس"*

هو حديث عن تحدّ عظيم من صاحبها والعاملين فيها وسط جمهور مغلوب على أمره يتجرع كل حين كؤوس الذل والتنكيل على يد مستعمر جائر، سعى منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر إلى تحطيم مقوماتها بدءا بالدين؛ إذ كانت حملته العسكرية تحمل في طياتها أهدافا صليبية[2]، ومارس ضد الشعب عملية غزو ثقافي منظم حين عمل على إلغاء تعليم اللغة العربية محاولا دمج الشخصية الجزائرية في فرنسا من أجل القضاء على هويتها.

فكان أن سطرت المجلة أهدافا لتنتشل بها شعبا غارقا في ويلات المستعمر. فقد "وقف الشهاب موقفين أساسين، موقف الدفاع عن هوية الجزائر والحضارة الإسلامية، واللغة العربية، وموقف الهجوم ضد مشاريع الاندماج في فرنسا وإذلال الجزائريين"[3].

وبهذا المفهوم كانت المجلة إصلاحية، ومجالات الإصلاح التي عملت فيها، شملت جميع الميادين، ذلك أن جسد الأمة الجزائرية، كان يشكو تمزقا في كل قطاعاته الحيوية خلال فترة الاحتلال الفرنسي التي سجلت أبشع أنواع التقتيل والتنكيل والنفي والتشريد والتفقير والتجهيل.

وحتى يستطيع الشعب أن يتجاوز هذه الوضعية المزرية ركز "ابن باديس" من خلال مجلة "الشهاب" على الإصلاح الديني، كونه يمثل دستور الأمة الإسلامية ، فإصلاحه هو إصلاح لها، مما أدى إلى طرح

---

* عبد الحميد ابن باديس: ولد ابن باديس في ديسمبر 1889 وسط أسرة من أكبر الأسر القسنطينية... على الرغم من تأثره المؤكد بمدارس الإصلاح الديني في المشرق استطاع أن يقدم إضافات مهمة إلى الفكر الإصلاحي وكانت إضافاته عملية أكثر منها نظرية، لأن الإسهام الذي قدمه ابن باديس لحركة الإصلاح الديني كان نتيجة تحليله للظرف الخاص الذي كانت تمر به الجزائر فيما بين الحربين ، أكثر مما كان نتيجة تفلسف نظري وبحث في التجريد" محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1980، ص 9-11.

([2]) محمد طه الحجازي: جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات الأدبية ، القاهرة ، د ط، 1968، ص 83.

([3]) أبو القاسم سعد الله: تصدير مجلة الشهاب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 2001، م 16، ص 145.

مكثف ومدروس لمختلف المواضيع الدينية، سواء من خلال المقالات أو الخطب أوالمواعظ، وكان للشعر في كل ذلك نصيب معلوم: "نعم قد سطع نور "الشهاب" الأغر وبرز رافلا في حلل اللغة العربية، ناشرا بنوده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مبتعدا عن سَفْسَطَةِ المتعممين المدلسين والدجالين المذبذبين، متمسكا بطريقة المصلحين، ناهجا منهج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، معتمدا على صريح الكتاب وصحيح السنة"[4].

وقد برز لأجل إحقاق هذه الأفكار الإصلاحية والدعوة إليها ، نخبة من الأدباء والشعراء ، ساهموا بقدر كبير في توعية الشعب، والأخذ بروحه نحو توجه جديد، تتحقق فيه ذاته ووطنيته، مما أورثنا رصيدا أدبيا شمل فني النثر والشعر، فكانت المجلة بمثابة مدونة فكرية وأدبية راقية للفترة الممتدة بين 1925 و1939، وهما تاريخ صدورها وتوقفها. ويرى عبد المالك مرتاض أن: "مجموعة هذه المجلة عبارة عن دائرة معارف جزائرية بالمفهوم الواسع. إذ يظفر فيها القارئ بكل ما يتصل بالسياسة الجزائرية، والثقافة الجزائرية، والنهضة الجزائرية، والمجتمع الجزائري بوجه عام، أثناء حقبة معينة من التاريخ"[5].

عملت مجلة "الشهاب" في إطار محكم التنظيم ، فقد دافعت بروح إسلامية عن مقومات الشعب الجزائري، وناقشت كل المواضيع التي تتعلق بتحقيق استقلاله الذاتي والوطني، معتمدة –في ذلك- على أقلام النخبة الجزائرية من رجال الدين والإصلاح، إلى الأدباء والمهتمين بالسياسة، كما: "أننا نجد في الشهاب مقالات ومناظرات وأشعارا كثيرة، نشرت في صحف شرقية أخرى، ثم نقلها الشهاب لقرائه وأذاعها بينهم، ومثل هذا لا

([4]) محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي: الصحافة والعلماء والكتاب، مجلة الشهاب، م 1، عدد 11، 1926، ص 17-18.

([5]) عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1945) النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1983، ص 103.

يقلل من أهمية هذه المجلة شيئا، لأن تلك الصحف العربية الشرقية، التي كانت الشهاب تنقل منها ما تنقل لقرائها، غير معروفة لديهم بوجه عام"[6].

استطاعت مجلة "الشهاب" أن تخرج الشعب الجزائري من عزلته ليطلع من خلالها على ما يجري في العالم، من تقدم وتطور في مختلف مجالات الحياة، مما بعث فيه نفسا جديدا متشبثا بالحياة، غذته مواضيع أدبية متنوعة، تمكنت بلغتها البسيطة، وأسلوبها المباشر، أن تبعث فيه روح المقاومة وضرورة التغيير.

إن لحظة الوعي بالخطر قد أحيتها ثقافة الشعب الذي بدأ يستفيق، فتشبث المنقِذون والمنقَذون بالعودة إلى الأصل الذي يعيد هيكلتهم وبناءهم من جديد، إنه كتاب الله وسيرة نبيه عليه الصلاة والسلام، بل كل ما يؤصل لعربيتهم ومجدهم، كالقصص التاريخي والشعر القديم ... فكل هذه المحطات التاريخية والفنية في قصص العروبة والإسلام، عزّزت ثقة الشعب بنفسه.

ومن هنا كان لزاما أن يتساءل القارئ ، ما هي الفنون الأدبية التي كانت تنشر في المجلة؟ ومن كان ينشر فيها؟ وما درجة تجاوب القراء معها؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، يجدر بنا الوقوف على ظروف صدور مجلة "الشهاب في وقت كان الخناق مشددا على النخبة المثقفة، فالعلماء: "كانوا يمثلون أكبر الخطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر، فشُعَبُ مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية، والإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية..."[7]، ومع ذلك حققت مجلة الشهاب انتشارا واسعا: "فلم ير الناس في الجزائر مجلة أو صحيفة يومية أو أسبوعية، مما عبر ومضى من المجلات والصحف الكثيرة، مجلة استأثرت بقلوب المفكرين الجزائريين، واشتد حرصهم على اقتنائها أو الإلمام بها مثل مجلة الشهاب، بل إن هذا الاستئثار تجاوز الجزائر إلى أقطار عربية أخرى. فقد كان الأستاذ إبراهيم الكتاني، مدير المكتبة العامة بالرباط، وأحد أصدقاء

([6]) م، س، ص 103.

([7]) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 3، 1986، ص 101.

الجزائر، تقدم إلي في أن أحيطه خبرا بما صنع الله بهذا التراث الفكري العظيم؟ ولم أره تعطش إلى اقتناء شيء من الكتب تعطشه إلى اقتناء مجموعة الشهاب"[8].

فما السر وراء هذا الانتشار؟ وما هي الظروف التي أخرجت فيها المجلة ونشأت فيها؟ ثم كيف استطاعت التأثير في الشعب وإحداث مثل هذا التغيير فيه؟!

1 ـ صدور مجلة الشهاب:

إن وعي "ابن باديس" ونضاله جعلاه لا يكتفي بتقديم الدروس وإلقاء الخطب: "فلم يلبث... أن شعر بعد تفرغه للتدريس – تحقيقا لحلمه، بأن حلقات الدرس في الجامع الأخضر لا تكفي لتحقيق ما يطمح إليه من تغيير وما يصبو إليه من تجديد"[9]، فأدرك وجوب إيصال هذه الأفكار الإصلاحية التحررية إلى كامل الشعب، داخل وخارج الوطن ، فأسس "جريدة المنتقد" سنة 1925، وهذا جزء من أول مقال ورد فيه عنوان (مبادينا وغايتنا وشعارنا) بإمضاء (النخبة) جاء فيه: "بسم الله ثم بسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم، شاعرين بعظم المسؤولية التي نتحملها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون والمبدأ الذي نحن عليه عاملون..."[10]، فكانت "جريدة سياسية تهذيبية إنتقادية- شعارها: الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"[11].

لكن عمر هذه المجلة لم يدم سوى ثمانية عشر عددا لتغلق بسبب حدة لهجتها تجاه المستعمر: "ففي صبيحة 21 من أكتوبر حجزت أعداد "المنتقد" من حوانيت الباعة وفي عشية الأربعاء التي تلي أعلم صاحب

([8]) عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954) ، النهضة الفكرية النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية، ص 106.

([9]) محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ص 12.

([10])، ([2])النخبة : مبادينا وغايتنا وشعارنا، المنتقد، عدد 1، جويلية 1925، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008، ص 5.

الامتياز بتحجير نشر المجلة ورواجها بقرار من وزير الداخلية، فعجبنا ! ولم نعجب !"[12].

هكذا إذن كانت قرارات الإدارة الفرنسية، تعسفية ضد كل الجزائريين، يقول "ابن باديس": "عجبنا أن تعطل جريدتنا بهذه التصرفات الإدارية بدون أن نعرف بالسبب، أو نناقش فيه، لندافع عن أنفسنا، أو نعرف على الأقل ما استاءت منه الإدارة لنتجنبه أو نعتذر عنه، إن كان يوجب الاعتذار"[13].

واصل ابن باديس حملته الصحفية ضد الفرنسيين وأتباعهم من بعض الطرق الصوفية والزوايا الذين ساعدوا الاستعمار على مدّ توغله داخل الشعب الجزائري، فكان أن أسس جريدة "الشهاب" لتكمل ما بدأه "المنتقد"، وتكون فتحا جديدا يضيء للشعب الجزائري طريق الخلاص بعد أن: "أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده، وقبح له دينه وقومه، وقطع له من كل شيء- إلاّ منه- أمله، وحقّره في نفسه تحقيرا..."[14]."فالشهاب" أيقظ الأمة، ووضح لها معالمها، وأعاد هيكلة مقوماتها، فعزز الجزائري بنفسه ووطنه، بعد أن تحقق لديه الوعي الديني.

لم تدم "جريدة الشهاب" سوى أربع سنوات من تاريخ صدورها عام 1925م لتتحول إلى مجلة شهرية، يقول "ابن باديس" عن الشهاب: "أجل، قد قهرته الظروف فغيرته من صورته الأسبوعية إلى هيئته الشهرية، ولكنها لن تستطيع – بإذن الله- أن تمس ضميره بسوء، فتصيب منه من شيء"[15].

بعزم وإرادة يواصل صاحب المجلة نضاله الديني والسياسي، مستغلا في ذلك خبرة وثقافة كل الكفاءات الفكرية المتوفرة من العلماء والأدباء ورجال السياسة من أجل نشر الوعي، والنهوض بالأمة الجزائرية، ودفعها إلى تغيير هذا الواقع.

([12])، ([4]) عبد الحميد بن باديس، الشهاب والمنتقد، الشهاب، مج 1، عدد 1، 1925، ص 2.

([14]) ابن باديس: فاتحة السنة الرابعة عشر، مجلة الشهاب،ج 1، م 14، ص 2.

([15]) ابن باديس: "الشهاب الشهري بعد الأسبوعي، تستطيع الظروف تكييفنا، ولا تستطيع – بإذن الله إتلافنا، مجلة الشهاب، مج 5، جزء 1، ص 1.

وهكذا تحول "الشهاب": "إلى مجلة راقية تؤرخ للحركة الفكرية الجزائرية في مرحلة من أهم مراحلها التاريخية"[16]. حيث ظهر العدد الأول منها في فيفري 1929[17]، ليستمر حتى عدد أوت 1939[18]، وهو آخر عدد للمجلة، إذ صدر "أمر الوالي العام بتعطيل عدد شهر أوت 1939"[19] بسبب لندلاع الحرب العالمية الثانية ورفض المجلة الدعاية لفرنسا على صفحاتها.

وخلال هذه الفترة الممتدة بين سنوات 1925-1939، غطت المجلة جميع المواضيع التي تعلقت بالأحداث التي عاشها الشعب الجزائري، بل بقية أنحاء العالم، وكان ذلك ضمن أبواب انتظمت في المجلة كالآتي:

أبواب المجلة[20]:

لتحقيق حركة إصلاحية ناجحة عملت مجلة الشهاب، على تسطير برنامج ثقافي متنوع.

1- مجالس التذكير: ينشر في هذا الباب تفسير "ابن باديس" للقرآن والحديث النبوي الشريف "على طريقة رشيد رضا في "المنار"[21].، وتحرص المجلة على نشر "ما فيه تبصرة للعقول، أو تهذيب للنفوس من تفسير آية كريمة، أو حديث شريف، أو توضيح مسألة في أصول العقائد أو أصول الأعمال..."[22].

([16]) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 2007، ص 103.

([17]) انظر: مجلة الشهاب، ج 1، م 15، ص 1.

([18]) انظر: مجلة الشهاب، ج7، م 15، ص 312.

([19]) انظر النجاح: 1929/97.2330، وعلي مرحوم يقول أنها توقفت من تلقاء نفسها في (2-9-1939) ، أنظر الثقافة ع 43، ص 36، نقلا عن : محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية، ص 36.

([20]) ورد في مجلة الشهاب: ج 1 من م 5، ملخص لكل باب.

([21]) محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية، ص 103.

([22]) مجلة الشهاب، ج 1، م 5، ص 35.

2- رسائل ومقالات: يرد في هذا الباب مجموع الرسائل والمقالات من العلماء والأدباء "مما هو موافق لخطة المجلة في ترقية المسلم الجزائري"[23].

3- منتخبات من الكتب والصحف: ويضم ما كتبه الأدباء والمصلحون في الأمة العربية والاسلامية مثل: شكيب أرسلان، ومحب الدين الخطيب ومحمد رشيد رضا، ومحمد حسين هيكل، وزكي مبارك، وغيرهم...

4- قصة الشهر: وهي قصص مختارة، القصد منها توعية القارئ وأغلبها دون إمضاء، كما أنها "ليست من القصص الفني في شيء، لأنها تنقل عادة من الكتب القديمة تحكي سيرة بطل من أبطال الشارع الإسلامي، أو موقف من المواقف الإنسانية الخالدة"[24].

5- المباحثة والمناظرة: ينشر فيه: "ما يكون موافقا لخطة المجلة من المباحثات والمناظرات التي ترمي إلى استجلاء الحقيقة عن طريق الدليل"[25].حول مختلف المواضيع الفقهية أو الحضارية أو اللغوية.

6- الفتوى والمسائل: تعرض فيه أسئلة القراء وإجابة الشيخ "ابن باديس" عنها في المواضيع الفقهية.

7- ثمار العقول والمطابع: وهو متابعة للرصيد الفكري الذي ينشر في الكتب والجرائد.

8- في المجتمع الجزائري: ينشر فيه ما يتعلق بالوطن الجزائري من أحداث مختلفة وغالبا ما يكون دون إمضاء، وينسب إلى "الشيخ ابن باديس، ومن الإمضاءات المعروفة الشهيرة في هذا الباب" كاتب كبير" وهو الشيخ العاصمي، و"الفتى الزواوي" وهو باعزيز بن عمر"[26].

9- نظرة عالمية: تعرض في هذا الباب حصيلة الحوادث العالمية التي تقع في الشهر.

10-أخبار وفوائد: تنشر فيه أخبار متنوعة حول مواضيع متفرقة.

([23]) م، س، ص 35.
([24]) محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية، ص 35.
([25]) مجلة الشهاب، ج 1، م 5، ص: 35.
([26]) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية، ص 104.

11-نظرة في السياسة العالمية : تعرض فيه قضايا السياسة العالمية كالقضية الفلسطينية. ثم انقسم هذا الباب إلى عنوان "في الشمال الإفريقي"، وعنوان "الشهر السياسي في الشرق والغرب"[27].

12-حديقة الأدب: وهو ركن للأدباء والشعراء العرب، يهتم بالإنتاج الأدبي نثرا وشعرا.

هذه الأبواب وغيرها استطاعت أن ترقى بالقارئ الجزائري، من خلال التنوع الثقافي الذي تعمده صاحبها، ليخرج الشعب من الدائرة المغلقة التي حاصره فيها الاستعمار الفرنسي على عتبات الفكر والتطور في المجتمع الجزائري.

وقد ضمت المجلة صفحات إشهارية في مختلف شؤون الحياة، كالكتب الأدبية، وعناوين الأطباء والصيدليات ومواد البناء... وغيرها من المنتوجات التي تسهل على المجتمع اقتناءها بيسر.

استطاعت مجلة الشهاب أن تكون بحق مدونة فكرية وأدبية للفترة الممتدة بين 1925 و1939، فقد سجلت جل الحوادث التي وقعت فيها، وعبّرت عنها باللسان العربي واللغة الفصحى التي حاربها الاستعمار، ولاحق مدرِّسيها إما بالسجن أو غلق المدارس، أو فرض الغرامات المالية[28]، إلا أنها كانت تحديا تفنن في التعبير عن انشغالات الشعب نثرا وشعرا، فكانت هذه المجلة: "جامعة فكرية، أدبية، إصلاحية، وطنية، سياسية، أنشأت بيئة ثقافية واسعة في الجزائر، لا يستغني عنها قراء العربية في تلك السنين، كما كانت المجلة تعبيرا وافيا عن مظاهر النهضة الأدبية وأداة لنشر لغة عربية متينة بينة في أوساط واسعة من الطلبة والقراء في بلادنا"[29].

([27]) أحمد شيبان: مقدمة مجلة الشهاب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 12

([28])انظر مثلا : آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ج 5، ط1، 1991، ص 404 وما بعدها، وص 407 وما بعدها، وص 413 وما بعدها وغير ذلك من الشواهد على السياسة التي انتهجتها فرنسا ضد التعليم والمعلمين ورجال الدين.

([29]) عبد الرحمن نسيان: مقدمة مجلة الشهاب، ص 13.

وقد تمكن الشعر الجزائري المنشور في هذه المجلة، من توصيل أهدافها، التي تتفق مع توجههم الإصلاحي، ومسعاهم في توعية الشعب من خلال مخاطبتهم بلغة خاصة، استطاعت أن تحرك فيهم مشاعرا صنعت ثورة عظيمة. فما هي اتجاهات هذا الشعر؟ وما هي أهم المواضيع التي تناولها؟

ثانيا: الحركة الشعرية

أ ــ اتجاهات الشعر الجزائري في مجلة "الشهاب":

لقد نذر الشعراء أنفسهم – في مجلة الشهاب- لخدمة الفكرة الإصلاحية التي أرادت كشف القناع عن الظلم والاستبداد الذي يعانيه الشعب الجزائري في وطنه، بعد أن روجت الصحف الفرنسية لعكس ذلك، فبات من الواجب على الشعراء أن يستعملوا الكلمة سلاحا، يخاطب العقول قبل القلوب، فلا مجال لديهم أن يتغنوا بالطبيعة، أو يتشببوا بامرأة، أو يطلقوا العنان –كأي شاعر- لأخيلتهم ورؤاهم أن تتطاير في سماء الشعور، فتصبح بذلك إحساسا ينتشي عذب الواقع وسحر الخيال، فالوقت وقت جد، والبرنامج بات مسطرا، إنها الدعوة إلى التمسك بمبادئ الدين، وإحياء لغة القرآن، والحث على طلب العلم... كل ذلك من أجل إرساء القاعدة التي تمهد لانطلاق ثورة عظمى تنهي سنين القمع.

ذاك هو الشعر الذي احتضنته مجلة "الشهاب" من 1925 إلى 1939، شعر ديني، سياسي، اجتماعي، أو لنقل إنه شعر محافظ: "فالباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ فيه... مثلما يلحظ في بقية الشعر العربي منذ بداية نهضته الحديثة، نزعتين : نزعة المحافظة والتقليد، وكان لها أنصارها والمتحمسون لها، ونزعة التطوير والتجديد وكان لها روادها والداعون إليها، غير أن النزعة الأولى كان لها في الأوساط الأدبية معتنقون أكثر، ووجدت من الشعراء والنقاد استجابة تلقائية أكبر"[30].

إن اعتناق الشعراء الجزائريين لنزعة المحافظة والتقليد، كان تماشيا مع تكوينهم المحافظ، المعتمد على الثقافة السلفية التي كانت تمثل ثقافة

([30]) محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث:، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975) دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان ، ط 1، 1985، ص 39.

الشعب الجزائري، لاسيما وأن شعار مجلة الشهاب الإصلاحي كان "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[31]. وفي هذا دلالة على الاعتزاز بالماضي الإسلامي المجيد، الذي طالما حفظ للمسلمين حريتهم وكرامتهم.

ولتحصيل هذا التراث العربي الإسلامي، كانت الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية حلقة جامعة لأبناء الجزائر، تلقنهم مبادئ الدين وتحفظهم كتاب الله، وحتى: "المدارس القليلة فقد كان الذين يدرسون بها في الأغلب الأعم من رجال الدين، أئمة، وفقهاء، ووعاظا ومرشدين"[32].

وإلى جانب حفظ الدين في نفس الشعب الجزائري، تمكنت حلقات التدريس من الحفاظ على اللغة العربية من الزوال، بعد أن عمر الاستعمار، ونشر لسانه الفرنسي في أوساط الجزائريين. ولعل رواسبه لازالت عالقة بأذهان أكثرهم حتى الآن. فاللغة الفرنسية هي لغة الافتخار والاعتداد بالنفس، والعكس بات واضحا، إذا ما تعلق الأمر بلغة القرآن الكريم فالمصلحون يدركون أن: "لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر...وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره إلى ذهاب وإدبار..."[33].

فالعزم على حفظ اللغة كان يمثل تحديا كبيرا بالنسبة لحاملي فكرة الإصلاح، في ظل غطرسة المستعمر ومطاردته للنخبة المثقفة: "فالمصلحون شعراء أو غيرهم إنما قامت دعوتهم على أن اللغة لابد أن تسترد مكانتها في وطنها، وأن تعود كما كانت في العصور الزاهرة، وإلا

([31]) مجلة الشهاب: ورد هذا الشعار في جميع المجلدات.

([32])محمد ناصر. الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، (1925-1975) ص 40.

([33]) مصطفى صادق الرافعي ، اللغة والدين والعادات باعتبارها مقومات الاستقلال ، مجلة الشهاب، جزء 3، م ج12، ص 115.

سيطرت اللغة الدخيلة على لسان الناس وساعد ذلك على تحقيق أغراض الاستعمار في فرنسة الجزائر"[34].

وقد استطاعوا إثبات ذلك من خلال اللغة التي حملت مقالات وخطب وأشعار نشرت في الصحف والجرائد والمجلات في ذلك الوقت: "فلا مغالاة في القول بأن اللغة قالب الأفكار، وأن الطفل وهو يتلقَّى اللفظ من لغة قومه يرث معه فكرة من موروثات أفكارهم، ولا سبيل بعد هذا للشك فيما للغة من قوة وثيقة مبنية في ربط الجيل من الجماعة بعضهم ببعض، وربط هذا الجيل بسابقه ثم بلاحقه ممن سيتكلمون هذه اللغة بما أدخله عليها من مستحدثات"[35].

فالاهتمام باللغة أعطى للشعب نَفَسا جديدا وثقة أكبر في إنشاء رابط قويّ بين واقعه المأساوي وتراثه العريق، وتطلعه لغد أفضل، فتحدَّث اللغة العربية الفصحى، وكتب بها، وعبَّر بها عن حاله، وانتفض بها ضد عدوّه، فحملت شعارات العز والفخر التي هزت الأبدان، وحرَّكت المشاعر وأشعلت فتيلة ثورة عظمى... فهل هذا هو مفهوم الشعرية؟

ولعل السبب الثاني الذي جعل الشعراء الجزائريين يتبنَّوْن الاتجاه المحافظ هو تعلّقهم بالأدب العربي القديم، فإن كانت الثقافة الصحفية قد أورثتهم لغة رصيدها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي بدت واضحة في أسلوبهم وتراكيبهم، فإن الأدب العربي القديم، والذي يشكل تراثهم العربي قد أثرى لغتهم وحسهم الفني، إذ يمثل النموذج شكلا مضمونا بالنسبة لهم ولرواد حركة النهضة في الشعر الحديث. وعلى قدر ما قدمه هذا الشعر القديم لهم على قدر ما: "كان له أثر سلبي في عرقلة التطور الفني لدى شعراء الاتجاه التقليدي الذي لم يخضع لاستخدام لغة معاصرة أو صور طريفة"[36].

من جانب آخر يمثل اقتصار هؤلاء الشعراء على الثقافة العربية دون الأجنبية تأثيرا واضحا في أسلوبهم وتعابيرهم، فـ: "أغلب الشعراء في عهد

([34]) عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الديني الإصلاحي ، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 2، د ط ، 2009، ص 81.

([35]) عبد الرحمن صدقي: الوطن هو تاريخ الوطن، مجلة الشهاب، ج7، مج 13، ص 313.

([36])محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 45.

الإصلاح كانوا قد تخرجوا في جامع الزيتونة، ولم يسعفهم الحظ في أن يضيفوا إلى ثقافتهم العربية ثقافة أجنبية أخرى، بل إن بعض الشعراء كان يرفض الاحتكاك بالثقافة الفرنسية"[37]، فهي ثقافة العدو الذي اضطهدهم وضيّق عليهم العيش في وطنهم.

إن الثقافة السلفية التي تبنَّتها الحركة الإصلاحية مكَّنتْها من إبداء إعجابها وتأثرها من مدرسة الإحياء العربية، يبدو ذلك من خلال تخصيص "مجلة الشهاب" صفحات كثيرة، عرضت فيها لحياة "شوقي" و"حافظ" وأحيت ذكراهما، ونظم الشعراء فيهما القصائد، وأقيمت الدراسات حول زعماء هذه المدرسة، وعرضت مقالات وأشعار لزعمائها...[38].ولعل في شهادة الشاعر الجزائري "محمد السعيد الزاهري"* دليل واضح على فضل هذه المدرسة على النتاج الشعري الجزائري، إذ يقول: "ومن منا معشر الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكبرى على آثار مدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه حسين وأحمد أمين والمنفلوطي والزيات من أفراد الرعيل الثاني، أقول الثاني لأنهم سُبِقوا بطبقة الشيخ عبده ومن التفَّ حوله من أمثال رشيد

([37]) م،س، ص 46.

([38]) انظر :مجلة الشهاب، جميع الأجزاء.

* محمد السعيد الزاهري: "1899-1956) هو محمد السعيد السنوسي شاعر وصحفي ومعلم وكاتب في مجال الإصلاح الديني على وجه الخصوص. ولد بقرية (ليانة) بالقرب من بسكرة، بالجنوب الشرقي الجزائري، حفظ القرآن الكريم وتلقى دروسه الأولى مشايخ الأسرة الزاهرية الشهيرة العلم ، ثم تنقل إلى قسنطينة ليتدرب على يد الإمام عبد الحميد بن باديس. ثم سافر إلى جامع الزيتونة بتونس للاستزادة من العلم.أنشأ سنة 1924 صحيفة البرق، ثم ترأس صحيفة البرق سنة 1927، وساهم مع الطيب العقبي بين سنتي 1932 و1933 في تحرير صحيفتي "السنة" و"الصراط". ثم أنشأ صحيفتي "الوفاق" سنة 1938م، و"المغرب العربي" في بداية الأربعينيات بالإضافة إلى مقالاته الإصلاحية التي كتبها في مجلة "الشهاب" وفي مجلات الشرق العربي و"الفتح" و"الرسالة" و"المقتطف". هو عضو جمعية العلماء المسلمين، وعضو في مجلسها الإداري سنة 1934م، وعضو في حزب "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" في نهاية الأربعينات، واشتغل بالتدريس في مدارس الجمعية في دن "الأغواط" وتلمسان ووهران ، كان متحمسا في شعره وكتاباته لصالح الوطن وضد الطرقية. من أثاره التي طبعت كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"، وما تزال أثاره الأخرى غير مجموعة". موسوعة الشعر الجزائري، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى عين ملية، الجزائر، ط 1، 2002، ص 453-454.

رضا، وعبد العزيز جاويش، وطنطاوي جوهري، وعلي يوسف والمرصفي"[39].

كانت هذه أهم العوامل التي ساهمت بشكل كبير في توجيه الشعراء الجزائريين نحو الاتجاه المحافظ، الذي تماشى مع تكوينهم ومنهجهم في الحياة، الذي فرض عليهم هو الآخر التأثر فقط بما يستجيب لمواقفهم، كالتأثر بمدرسة الإحياء العربية، التي تتلاقى في توجهها، والموضوعات التي تطرحها مع هموم الشعراء الجزائريين.

ولعل شروط النشر في مجلة الشهاب، تعتبر عاملا أساسيا بالنسبة للشعراء؛ ذلك أنها مجلة إصلاحية كل ما ينشر فيها يجب أن يكون خاضعا لشروط النشر الهادفة إلى إصلاح المجتمع وتوعيته، وتعريفه بدينه، وتحبيب اللغة العربية إليه، وذلك بتخصيص صفحات تكرم فيها المتفوقين من التلاميذ والشعراء والأدباء من جهة، كما أنها تقدم صفحات أدبية تعرف بالشعر والنثر، وتحيي ذكرى وفاة الأدباء والشعراء، مذكرة بنتاجهم الأدبي والفكري...

استطاعت هذه الظروف أن تكيِّف أسلوب الشاعر الجزائري على طريقتها، وتجعل محور تفكيره، بل ولغته وصوره مستمدة من كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر القديم، والشعر المعاصر بالنسبة للشعراء الجزائريين في ذلك الوقت والذي يمثل شعر مدرسة الإحياء، فالشاعر الجزائري وإن عبّر عن هموم شعبه وآلامه، فإنه يستند –في ذلك- إلى تراثه، الذي يرى فيه الغلبة على الاستعمار الفرنسي، لما حمله من حملات المسخ على اللغة والدين والعروبة.

فجاء الشعر الجزائري لنداء روحي، سياسي، واجتماعي، كان يئن في نفوس أبناء الوطن، دون أن يجد من يعبر عنه، أو يحركه، ليتحول إلى شعلة استطاعت بعد سنوات أن تخلق شعبا مثقفا، مناهضا، ينشد الحرية.... ذاك هو الشعر الجزائري، بلغته وأسلوبه وإنسانيته، وجد متلقيا، يفهمه ويستوعب مواهبه، أليس هذا ما ينشده الشعراء؟ إيجاد متلق يتجاوب معهم، ويتأثر بمعانيهم، ونداءاتهم الروحية؟

([39]) صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ، 1986، ص 83.

ثالثا: المقصدية الرسالية في موضوعات الشهاب:الشعرية

إن المتصفح للشعر المنشور في مجلة الشهاب (1925-1939) يستطيع التعرف على الأوضاع السائدة في الجزائر في هذه الفترة، فالشعراء استطاعوا تناول جميع الأحداث التي تتالت على الشعب، فكانوا حاضرين في جميع المناسبات، يتبعون التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية لبلدهم المحتل، وينشدون في ذلك أشعارا تعالج وتندد وتصلح وتتحسر داعية في ذلك كله إلى التمسك بمبادئ الدين الإسلامي، فهو دستور الأمة، الذي حفظ للبشرية نظامها في الحياتين والشاعر في نظرهم هو: "ذلك الفذ القادر الذي أوقف نفسه على بني جلدته أو بني الإنسان جميعا، يجاهد بفكره في سبيلهم ليهدي الضال، ويعلم الجاهل، ويضرب لأبناء البشر المثل العالية في السعادة وكمال الإنسان"[40].

وبهذا تكون مهمة الشاعر محددة، فهو المعلم والمصلح الذي يستأثر بقلوب الناس بشعره الموزون المقفَّى، وكلامه البليغ، وأسلوبه المباشر ـ في معظمه ـ فهو يخاطب شعبا، طال استعماره وضعف حاله. فما دام الخطاب موجها إليه، ويهدف إلى توعيته وتغيير أوضاعه، فلابد أن يكون بمقدار استيعابه، فاستعمل الشعراء ألفاظا وعبارات وأساليب مستقاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر القديم، فهذا التراث العربي كان النبع الصافي الذي ينهل منه الشعراء الجزائريون: "فلم يصب شعب من موهبة الشعر الإلهية مقدار ما أصاب منها الشعب العربي، وأن تفانيه في الانصباب على الشعر وثقافته التواقة إلى الحرية والبطولة، وسماه بطابع خاص، كان شعاره منذ ظهوره في فجر التاريخ"[41].

وكان هو الشعار الذي حمله الشعراء الجزائريون لانتزاع حريتهم من عدوهم، ببطولة وشهامة، واصلت طريق الحفاظ على نسب صفات العز والبطولة للعرب.

([40]) محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، مطبعة النهضة ، تونس، ج 2،د.ط، 1927، ص 10.

([41]) فيلا سباسبا: مقدمة لقصيدة "شاعر في طيارة" لفوزي حلوف: مجلة الشهاب، ج 4، م 7، ص 236

وهذه بعض النماذج تشير لأهم الموضوعات الشعرية المطروحة في مجلة الشهاب.

1 ـ الشعر الديني:

أدرك الشعراء الجزائريون أن الشعب بات يعاني فراغا روحيا، أضعف حاله فوجب إعادة هيكلته من جديد، تحت تنظيم الحركة الإصلاحية، التي تبنت هذا الاتجاه وقد: "انصبت دعوة رجال الفكر الإصلاحي على النهوض بحيث مست المجتمع من جوانب كثيرة، واعتمدت أساسا على الرجوع إلى منابع الدين الإسلامي واقتفاء أثر السنة النبوية الشريفة، والعمل على نشر الثقافة العربية، والقضاء على الجهل والخرافات والبدع التي انتشرت بين رجال معظم "الطرق" الصوفية، وساعد على انتشارها الاستعمار"[42].

إن تكالب الظروف الاستعمارية والاجتماعية على الشعب الجزائري انعكس أساسا على ثقافته، فالتعليم هو ضحية هذه الظروف مما أدى إلى تفشي الجهل والانحلال الخلقي والإيمان بالبدع والخرافات التي ألهته عن النظر في مقوماته وهي تسقط دون وعي منه، لذا ركز الشعراء على إصلاح هذه الجوانب بغية إصلاح البلاد والنهوض بها: "فالدارس للأدب الجزائري الحديث، يلحظ أن الشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع، وما استشرى فيه من أدواء محاولا إصلاحه من زاوية الدين، فتراه يذكر في كل مناسبة بأن الرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح هو سبيل النجاة"[43].

إن الدعوة إلى التمسك بمبادئ الدين ونبذ البدع والخرافات لا تكاد تفارق قصيدة من القصائد المنشورة في مجلة الشهاب، فالشعراء في كل مناسبة يذكرون بهذه المبادئ، فهذا الشاعر "محمد عبابسة الأخضري" في قصيدته (تهنئة عيدية) لحزب الإصلاح الديني يقول:

هبوا لصالح هذا الدين واعتصموا بحبله فهـم والله غـازونا
يا فتية نصروا دين الإله فما أبهى شمائلكم بقيتم فينا

([42]) عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث: الشعر الديني الإصلاحي ، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 2، د ط، 2009، ص 10.
([43]) م، س، ص 11.

الدين رائدكم والحق قائدكم وحجة الله بالكتاب تكفينا
بسنة المصطفى فزتم وفاز بها قوم بأرض الهدى لله داعونا
تذرعوا بالتقى والصبر إن لكم نصرا من الله يحييكم ويحيينا[44].

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة تهنئة (حزب الإصلاح الديني) بعيد الفطر، غير أنه أفرد لهذه المناسبة بيتين فقط، لتتحول القصيدة إلى دعوة للاعتصام بحبل الله للنجاة من غزو المستعمر الفرنسي وكأنه أراد استعجال رجال الإصلاح للتمسك بمبادئ الدين والعمل بسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم- فبذاك يتحقق نصرهم على أعداء الله والوطن.

وهذا الشاعر "محمد العيد آل خليفة"* في تساؤل يرقبه أمل، يبحث عن يوم يهنأ فيه الشعب بحياة كريمة، إذا ما عاد إلى دينه، يقول في قصيدة "تحية الشبيبة":

أيها المسلمون طال بنا الكر بُ فهل لا نفراجه من تسنى
حاش لله أن يغرّ بشعب مستجير بلطفه مستجن
أرقبوا الله فيه واهدُوا حيارى منه ضلوا سبيل جنة عدن

([44]) محمد عباسية الأخضري: قصيدة (تهنئة عبدية) لحزب الإصلاح الديني، مجلة الشهاب عدد 23 م 1، ص 455

* آل خليفة: محمد العيد حم علي: "ولد في مدينة (عين البيضاء) ولاية أم البواقي شرق القطر الجزائري نشأ في أسرة تغمرها التقاليد الإسلامية ولذلك ساهمت إلى جانب المدرسة القرآنية – في صقل أخلاق ابنها وتكوينه تكوينا إسلاميا ظل واضحا في سلوكاته وفي كتاباته الشعرية على الخصوص. وفي سنة 1921 هاجر في سبيل العلم إلى جامعة الزيتونة بتونس، فدرس هناك سنتين، ثم عاد إلى بسكرة لأسباب صحية وأكمل تكوينه العلمي فيها. وفي سنة 1927 دعي إلى العاصمة الجزائرية ليشرف على مدرسة (الشبيبة الجزائرية) وليدرس فيها، وقد بقي في تلك المهمة ما يربو عن اثني عشرة سنة، وفي سنة 1940م عاد إلى بسكرة بسبب الحرب العالمية الثانية، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة باتنة وأشرف فيها على مدرسة (التربية والتعليم). وفي عام 1947م انتقل إلى مدرسة (العرفان) بمدينة (عين مليلة) حتى قيام ثورة نوفمبر 1954م، حينما سجن ونقل إلى مدينة بسكرة ليبقى تحت الإقامة الجبرية حتى الاستقلال سنة 1962، أسهم شاعرنا خلال حياته في النهضة العلمية والأدبية والفكرية والإصلاحية في الجزائر، فقد كان معلما وعضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومحررا وشاعرا وكاتبا في عدة صحف منها: صدى الصحراء، والإصلاح، والشهاب، والبصائر. قيل عنه (إنه شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع) من آثاره المطبوعة والمنشورة : ديوان شعر من الحجم الكبير، ومسرحية بعنوان (بلال بن رباح). (أنظر: الربعي بن سلامة وآخرين : موسوعة الشعر الجزائري ، دار الهدى قسنطينة، ج 1، ط1، 2002، ص 320-321)

واعزموا عقدة العقيدة في الدّ ين تقوها كل فتق** وفتن(45).

تستمر دعاوى الشعراء بنفس الوتيرة، ونفس الغيرة على المسلمين ، الذين حادوا عن دينهم فضاعوا، وتشتتت قواهم، وهذا "محمد العيد" ينادي ويتساءل وينفي ويتعجب ويأمر... فحماسه وحسرته على ما آل إليه الشعب الجزائري، قاده إلى التنويع في الأساليب، راجيا في كل مرة أن يحل الأمن والسلام على أرض الجزائر.

وكطريق آخر للدعوة إلى الرجوع إلى تعاليم الإسلام، برز نوع آخر من الشعر يحارب فيه أصحابه البدع والخرافات التي تفشت في المجتمع، جراء الاستعمار والطرقية، يقول الشاعر "محمد السعيد الزاهري"* في قصيدة "تحية الإصلاح":

** فتق : "الفتق: انشقاق العصا ووقوع الحرب بين الجماعة، وتصدع الكلمة... والفتق شق المسلمين بعد اجتماع الكلية من قبل حرب في ثغر أو غير ذلك". ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، م 11، ط7، 2011، ص 123.

(45) مجلة الشهاب، ج3، م 9، ص 150.

* "هو محمد السعيد السنوسي، شاعر وصحفي ومعلم وكاتب في مجال الإصلاح الديني على وجه الخصوص. ولد بقرية (ليانة) بالقرب من بسكرة بالجنوب الشرقي الجزائري، حفظ القرآن الكريم، وتلقى دروسه الأولى على مشايخ الأسرة الزاهرية الشهيرة بالعلم، ثم تنقل إلى قسنطينة ليدرس على يد الإمام عبد الحميد بن باديس ، ثم سافر إلى جامع الزيتونة بتونس للاستزادة من العلم، فدرس هناك على محمد النخلي وعثمان بلخوجة ومعاوية التميمي الذي يعد أستاذه الأول في علوم الأدب والشعر خاصة ، تخرج من جامع الزيتونة سنة 1924م حاملا شهادة "التطويع" العالمية. عاد إلى العاصمة الجزائر، فأنشأ سنة 1925م، صحيفة "الجزائر" التي عطلتها السلطات الاستعمارية بعد العدد الثالث لأنها وطنية حماسية شعارها الجزائر للجزائريين، ثم ترأس صحيفة "البرق" سنة 1927م، وساهم مع الطيب العقبي بين سنتي 1932 و1933 في تحرير صحيفتي "السنة" و"الصراط". ثم أنشأ صحيفتي "الوفاق" سنة 1938م و"المغرب الغربي" في بداية الأربعينات، بالإضافة إلى مقالاته الإصلاحية التي كتبها في مجلة "الشهاب" وفي مجلات المشرق العربي "الفتح" و"الرسالة" و"المقتطف". وهو عضو في جمعية المشرق للعلماء المسلمين، وعضو في مجلسها الإداري سنة 1934م، وعضو في حزب "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" في نهاية الأربعينات، واشتغل بالتدريس في مدارس الجمعية في د ن "الأغواط" ، تلمسان، وهران، العاصمة، كان متحمسا في شعره وفي كتاباته لصالح الوطن وضد الطرقية. من آثاره التي طبعت كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" وما تزال آثاره الأخرى غير مجموعة". (أنظر: الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى ، قسنطينة، ج 1، ط1، 2002، ص 453-454)

ويريد آخر للجزائر أن تضـ ـل الرشد في طـرق وأبـواب
تلقي زمام عقولها جهلا إلى من كان متكلا على الأنساب
....
أو كل ذي دجل يمت به إلى من كان متصوف كذاب
يا ويحنا من أمة لم تتبع في الدين غير مشائخ وذئاب !
قسموا عباد الله أغناما لهم فالجاهلون لهم من الأذناب
ملكوا على البسطاء من جهالنا ما كان من مهج ومن أسلاب
والجهل إن ينزل بشعب آمن أودى بأموال له ورقاب
والمرء يتبع شيخه طمعا بها يرجو ويأمل من منى ورغاب
....
ويل لأشياخ الزوايا فرقوا الإ سلام في طرق لهم وشعاب !
لولا الشيوخ الطماعون ما هوى الإ سلام بين مهالك وخراب
يا رب زاوية بها ما لم يكن في حانة من خمرة وشراب
يسقي الشيوخ الصالحون ضيوفهم بالكأس أو بالطاس والأكواب
....
فجنوا على الدين الحقيقي وأفسدوا ما فيه من خلق ومن آداب
....
وهم الألى جمعوا حطامهم من الـ فقراء والإخوان والأحباب[46].

هو نموذج يصف بوضوح الوضع المتدني الذي آل إليه الشعب الجزائري، فبعض الطرقية سنت بدعا استباحت بها أموال وعقول الشعب، فغدا آية صماء تتبع أهواءهم، وتصغي إلى خرافاتهم، مما انعكس سلبا على عقيدته وإيمانه، وتحوَّل إلى مادة حيوية للشعر، فكان عليه: "أن يأخذ الانحراف أخذ عزيز مقتدر يوسعه فضحا وتعرية وتعقيبا ومطاردة، وتمزيقا لحجب القداسة وأستار الغموض .... وكانت تعرية أعداء الدين وفضح سوءاتهم تمثل الانطلاقة الأولى للشعر المرابط في المواجهة المضادة للانحراف"[47].

([46])مجلة الشهاب، عدد 161، م 4، ص 257.
([47]) صالح خرفي: الشعر والانحراف الديني، م الثقافة، س2، ع 7 مارس 1972، ص 59.

ومثل هذا الشعر ينتشر بكثرة في مجلة "الشهاب" عزما من الشعراء على إيقاظ الوعي الديني لدى المواطنين. فكان إحياء المناسبات الدينية وجه آخر للشعر الديني، الذي يهدف للتذكير بأركان الإسلام ومدح النبي عليه الصلاة والسلام، من ذلك قول "ابن باديس" في قصيدة "تحية المولد الكريم":

أحييت مولد من به حيي الأنام على الحقب
أحييت مولده بما يبري النفوس من الوصب*
بالعلم والآداب والـ أخلاق في نشء عجب
نشء يحب محمدا غذاه أشياخ نجب
فبه اقتدى في سيره وإليه –بالحق- انتسب
وعلى القلوب الخافقا ت إليه راتبه نصب
بالروح يفديها وما يغري النفوس من النشب
وبخلقه يحمي حما ها أو ببارقة القضب
حتى يعود لقومه من عزهم ما قد ذهب
ويرى الجزائر رجعت حق الحياة المستلب[48].

يذكر "ابن باديس" بكرم خلق الرسول عليه الصلاة والسلام- مبينا فضله على الأمة الإسلامية فهو رمز لكل معنى شريف، رمز للنصر والبطولات الخالدة، فصور للشعب الجزائري أيام العز التي يحلم بها، فهي ذي تتحقق، إذا ما استمسك بسيرة الرسول (ص).

إن استحضار شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم- لدى الشعراء الجزائريين، هو إعادة لدمج المسلمين في إسلامهم، عن طريق التذكير بمآثر الأمة الإسلامية وانتصاراتها- رغم قلتها وضعف عتادها الحربي- على الكفر والطغيان، وكأن المناسبة ولت: "لتترك المجال فسيحا للمشاعر الحبيبة المختلفة- مما يعطي للمناسبات الدينية والقومية صورة العلّة

* الوصبُ "الوصب: الوجع والمرض". ابن منظور لسان العرب، م 15، ص 222.
([48])مجلة الشهاب ، جزء 4، م 13، ص 219، 220.

والمبرر لانطلاق المضمون الكامن"[49]. وقد تعدد الشعراء والقصائد التي سارت على هذه الوتيرة في مجلة "الشهاب".

2 ــ الشعر الاجتماعي:

لقد تطرق الشعراء في مجلة "الشهاب" إلى جميع القضايا والمواضيع التي تتعلق بالشعب الجزائري، فالاستعمار الفرنسي أتى على مقومات حياته، فجهَّله وفقَّره وأباد معالم الحضارة والثقافة والاقتصاد في بلده، مما أثار استنفار الشعراء لهذه المأساة التي يعيشها بنو وطنهم فتراهم في كل مناسبة يبكون على هذا الواقع المرير، ويندون ببطش المستعمر تارة وبعجز الشعب واستسلامه تارة أخرى.

ولعلّ هذه الأبيات للشاعر "محمد بالقراد"* من قصيدته "دمعة حارة على الوطن" تكشف ألم وحسرة الشعراء على ما آل إليه وطنهم يقول:[50]

أبكيك يا وطني مدى الأعصار بمدامع فوق الخدود جواري !

إني رأيتك في التسفل مفرطا وسواك يرقى أوج كل فخار !!

ما بال قدرك هاويا متدهورا بعد التفاخر مع ذوي الأقدار؟ !

درست محاسنك التي ترقى بها أخنى عليك الدهر بالأوزار !!

صرت المحط لكل ذل فادح وقبائح وشوائب الأكدار !

يبكي عليك تأسفا ذو غيرة يا فاقد المنجين والأنصار !

يرثي الشاعر "محمد بالقراد" في هذه الأبيات وطنه، معددا جملة من المفاسد التي استفحلت في المجتمع الجزائري المستعمر والتي أثارت مشاعر التشاؤم والانطواء على الذات، وبثت في الأخير دعوة ضمنية لمناصرة الوطن المحتل، والتي أثارها الدال (غيرة) بما له من أثر نفسي على المسلم الذي يأبى الذل والهوان.

([49])صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص 51.

*

([50]) محمد بالقراد: دمعة حارة على الوطن، جريدة الشهاب ، م 1، عدد 97، 1927، ص 1087.

وتمتد مظاهر البؤس والشقاء في قصائد الشعراء الجزائريين، لترسم في كل مرة واقعا مريرا، يحكي قساوة العيش في الوطن المحتل، يقول الشاعر "علي بن السعدي اليحياوي"* في قصيدته "أمام الجندي المجهول"(51):

تكدرت الأيام من كل وجهة ... فكل بقاع الأرض طاف بها العسر
بخوف وازعاج وهول مكدر ... وضنك**وأحزان يضيق لها الصدر
فلم يبق خطب الحرب للنفس راحة ... ولكنه هم يخالجه الذعر
فكانت على المسكين أيام محنة ... تجرعه صبرا وليس به صبر
فكم من بيوت العز زال نعيمها ... وكم تاجر مثر أحاط به الفقر
فقد مر يوم النحس بالويل منذرا ... وطال فساد الكون حاربه الفكر
وأما الذي قد جاء بالإثم إنه ... لأجل خطاياه يطوفه الأسر
فمن كان بالإفساد في الأرض ساعيا ... تعاديه أجيال ويرهقه الزجر

لقد انتهج المستعمر الفرنسي جميع الأساليب التي تحط من قدر الجزائري، فلم تكن حملته "في غزو النفوس تقل فظاعة أو جرما عن أساليبه في احتلال البلاد، وقد أدرك المستعمرون بحسهم الماكر، أن نفوس الجزائريين الثائرة لن يكبح جماحها إلا إذا خدرت أعصابها بأحدث ما أنتجه مخابر أوروبا من جراثيم المسخ، وما استحدثته قاعات (الموضة) من فنون الغواية، ففتحت أبواب الحانات على مصراعيها في كل قرية ومدينة"(52). فانتشر الفساد وخيم الجهل، وانتهكت الأعراض ، يقول في ذلك الشاعر "محمد العيد" في قصيدته " هيهات يخزي المسلمون"(53):

كل الأراضي في النعيم إلا الجزائر فهي تصلى النارا

*لم اعثر على ترجمة لحياته.

(51)علي بن السعدي اليحياوي : أمام الجندي المجهول: مجلة الشهاب، م 9، جزء 7، 1933، ص 282.

**ضنك: "الضنك: الضيق من كل شيء". ابن منظور : لسان العرب، م 9، ص 66.

(52) محمد ناصر: المقالة الصحيفة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، م 1، 1978، ص 205 .

(53)محمد العيد: هيهات يخزى المسلمون، م 10، جزء 3، 1934، ص 126.

رضية يسطو وذاك يريد منه الثارا
وتنازع الإخوان هذا بالأذى يكدحن في طلب المعاش حيارا
والفقر فاش فالنساء سوافر ليقتتن أبناء لهن صغارا
يبذلن حتى العرض في أفشاعرون أم الرجال سكارى؟
تحصيله
يا للرجال من حرمة مهتوكة

إن سرد مثل هذه الأحداث، له كبير الأثر على متلق نشأ في بيئة محافظة فمن الواضح، أن الشاعر ـ ومن خلال هذا الطرح- أراد استفزاز مشاعر الجزائريين، ودفعهم نحو تغيير الواقع، فالاستفهام في البيت الأخير حمل سخرية لاذعة،احتوت جميع أفعال الأمر، الموجهة لهذا الشعب، فتتحقق بذلك رغبة الشاعر الملحة في فعل التغيير، الذي يجب أن يطال حال الأمة.

لقد استطاع الشعر الجزائري في مجلة "الشهاب" ومن خلال 170 قصيدة موزعة على 14 مجلدا، أن يتناول جميع القضايا التي تتعلق بحياة الشعب الجزائري فلم "يكد يغادر غرضا من الأغراض التي كانت تشيع في الشعر العربي يومئذ إلا وعالجه وعني به"[54]. فشارك الشعب آلامه، واستطاع أن يستثير فيه الحماس والنخوة، عن طريق مخطط الإصلاح، الذي تكاتفت جهود النخبة من أجل تفعيله على أرض الواقع، وقد آت أكله بعد سنين استكمل فيها بناء شخصية ، قادت الوطن نحو زمن الحرية.

وبقدر أهمية هذا الشعر في دفع الشعب نحو التغيير وتوعيته على أصعدة مختلفة بقدر ما ساهمت هذه المجلة في احتضان هذا النتاج الشعري الكثيف، مقارنة مع الفترة الحرجة، التي كتب فيها، فقد شجعت الشعراء على الكتابة ، وعلى "الرغم من أن شعراء النهضة* لم يكتبوا شعرا عظيما من حيث التصوير الفني الآسر، إلا أنهم كانوا خير معبر عن تلك الفترة

([54]) عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1983، ص 68.

* شعراء النهضة: "هم شعراء الفترة الممتدة بين 1919 و 1945". عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2006، ص 29.

المبكرة من تاريخ الحركتين الوطنية والإصلاحية في الجزائر، فكانوا أصدق الواصفين قولا، وأعلى الأصوات خطابا"[55]، فالأوضاع التي كان يعيشها الشعب ـ في تلك الفترة ـ كانت دافعا قويا للكتابة من جهة، وكان لهذه الكتابة صداها القوي على شعب مضطهد يبحث عن الخلاص في كل شيء.

قائمة المصادر والمراجع

1. ـ محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1980
2. ـ محمد طه الحجازي: جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات الأدبية، القاهرة ، د ط، 1968
3. ـ أبو القاسم سعد الله: تصدير مجلة الشهاب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 2001
4. ـ عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1945) النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1983م
5. ـ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 3، 1986م
6. ـ محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 2007م
7. ـ آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ج 5، ط1، 1991م

([55]) عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 29.

8. ـ محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث:، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975) دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان ، ط 1، 1985م

9. ـ عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الديني الإصلاحي ، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 2، د ط ، 2009م

10. ـ صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ، 1986م

11. ـ صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م

12. ـ الربعي بن سلامة وآخرون. موسوعة الشعر الجزائري، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى عين ملية، الجزائر، ط 1، 2002م

13. ـ محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، مطبعة النهضة ، تونس، ج 2،د.ط، 1927م

14. ـ محمد ناصر: المقالة الصحيفة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، م 1، 1978م

15. ـ عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1983م

16. ـ عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2006م